الخلفيات الاسطورية للصورة عند رولان بارث

أ.د/عبد الله ثاني قدور،
أ/ عبد العزيز زاهية(جامعة وهران)

ظروف وسياقات انتاج المقال وإشكاليته:

كتاب اساطير mythologiesهو عبارة عن مجموعة مقالات نشرت في مجلة شهرية تحمل اسم "الآداب الفرنسية" (--54 1956) تحت طلب منها للكاتب بان يكتب حول ما يتعلق بالحياة الاجتماعية وربطه بالحياة الفكرية , فاستغل هذه الفرصة وراح يرصد وقائع الحياة اليومية الشعبية لدى الافراد, مفسرا كيف ينعكس ذلك في الصحافة وشاشات التلفزيون والسينما وكل الممارسات الاستهلاكية للبحث عن دلالاتها الثقافية وكيفية انتقالها بذلك الى اساطير

وقد اخترنا منه آخر فصل(عبارة عن مقال نظري فلسفي نقديللحياة الاجتماعية في الغرب بمقاربات سيميولوجية) الذي يحمل **عنوان الأسطورة اليوم او الاسطورة المعاصرة** كما يعبر عنها البعض mythologies aujourd'hui كانت حاملا للأفكار التي سادت القرن 20 والتي تلخصت في الفكر البرجوازي وكان هذا الكتاب بداية لفتح المجال امام مبدعين وباحثين و سيمائيين اخرين استلهموا منها أعمالهم(جان لوك غودار).

التعريف بالكاتب :

رولان بارت Roland Barthes **(1915- 1980)** أديب وناقد وسيميولوجي فرنسي , كان احد رواد المدرسة البنيوية له اعمال كثيرة و متنوعة بين الادب و اللغة و السيميولوجيا منها : لذة النص الدرجة الصفر رحلة السيميولوجيا وعناصر السيميولوجيا , وإمبراطوريات العلامات بعد رحلته الى الصين. كان من اصدقاء جوليا كريستيفا وجاك دريدا.

محور المقال والفكرة العامة :

الأسطورة هي لغة، خطاب وكلام وماهي الا نظام سيميولوجي ثنائي نعايشه في الحياة الاجتماعية منبعه السلطة وتحركه الايدولوجيا والنظام السياسي المتبع. وتعتبر البرجوازية في المجتمع الغربي اكبر مثال في الأساطير المعاصرة وقد بدأت بالعقل الاقتصادي لتصل الى التواجد كفكرانساني عقلي والآن هي طبقة اجتماعية مميزة تقصي الاخر اذا ما رفض الاندماج فيها.

الأسطورة هي خطاب /كلام (Le mythe est une parole)

لكن ليس أي خطاب فعلى اللغة أن تكتسب شروطا لتكون أسطورة ، و الأسطورة هي نظام اتصالي يحمل رسالة لكنها لا تكون فكرة او موضوعا او مفهوما بل هي طريقة لتشكل المعنى .

الأسطورة لا تعرّف بموضوع الرسالة لكن بالطريقة التي تقدمها لكن هناك حدود رسمية ،فكل شيء في العالم له وجود مغلق او صامت ، ينفتح في حضن المجتمع ،فلا يوجد قانون طبيعي أو غير طبيعي يمنع من التحدث عن الأشياء (choses) وبالتالي كل كلمة تستمد محتواها أو معناها من الاستعمال الاجتماعي (مثل الشجرة). فالاستعمال الاجتماعي هو من سيضيف المادة الأساسية لها. تاريخ الإنسانية هو من سيمنح الحقيقة لحالة الخطاب الأسطوريفهو القاعدة الإنسانية لحياة وموت اللغة الأسطورية وبالتالي فهي الخطاب الذي يختاره التاريخ بحيث يعمل على انتزاع طبيعة الأشياء.

والأسطورة لاتكون فقط شفوية بل قد تكون مكتوبة أو على شكل عرض تمثيلي ،خطاب مكتوب مصور، سينما روبورتاج ،رياضة ،مهرجان ،إشهار ،فكل شيء قد يكون (خطابا) أسطوريا لا يعرف بموضوعه أو بمادته لان لا تتزود بمعنى اعتباطي.

كما ان أنواع الوعي والفهم والإدراك ،تختلف من الصورة الى الكتابة ،وهناك قراءات لمخططات تحمل معنى اكثر من رسمها ، ونقلا للمعنى أكثر من الأصل ، او كاريكاتيرا أكثر من البور تري .

الآن يمكن ان نفهم ان كل من اللغة ، الخطاب ،او الحديث يشكل وحدة او فرضية synthèse ذات معنى معبر (لفظية أو بصرية) فالصورة أو المقال في الجريدة سيشكلان parole خطابا(يحمل معنى) وهذا يؤكده تاريخ الكتابات الذي مرت به اللغة فقبل ان يتم اختراع او اكتشاف الحروف الالفبائية كانت هناك كتابات kinpouinca او رسوم (pictogramme) وهذا لا يعني انه يجب التعامل مع الأسطورة مثل اللغة لكنها في الأصل ترجع عموما الى علم مستمد من اللسانيات هو السيميولوجيا.

الاسطورة كنظام سيميولوجي :

في اطار دراسة الخطاب parole فالاسطورة هي جزء من هذا العلم الواسع الذي نادى به سوسير منذ اكثر من أربعين سنة الا وهو السيميولوجيا التي لم تتاسس بعد لانه منذ دي سوسير او بعده فان مجالات البحث الحديثة مازالت تواجه مسائل الدلالة والمعنى (تحليل نفسي ، البنيوية ، علم النفس)– ثم يقدم مثالا على الأبحاث اللغوية النقدية التي قام بها باشلار Bachelard انه لم يرد دراسة الحدث الا كمعنى –وعندما نتحدث عن الدلالة فسنعود للسيميولوجيا , هذا لا يعني ان السيميولوجيا هي مقر لكل هذه الابحاث لأنها ذات محتويات مختلفة ولها مجال مشترك هو انها علوم تدرس القيم .

السيميولوجيا هي علم الاشكال لأنها تدرس المعاني والدلالات (signification) بعيدا او خارج محتواها ولها ضرورة مثلها مثل العلوم الدقيقة . وهي تبعد عن الميتافيزيقا لكن لها حدود فرغم أهميتها الا أنها غير كافية لوحدها والمهم انها تقدم بنية شارحة .

ان الأسطورة (علم اسطورة mythologie) هو جزء من السيميولوجيا كعلم رسمي science formelle و من الايديولوجيا كعلم تاريخي وهي علم يدرس الأفكار كأشكال لتجلي المعنى. ثم ان كل سيميولوجيا تقوم على علاقة بين طرفين (دال signifiantومدلولsignifie) وهذه العلاقة تحمل على مواضيع objet من تراتيب مختلفة وهذا ما لا يجعلها مساواة بل مكافأة. ويجب الابتعاد عن اللغة

المشتركة التي تقر بباسطة وجود دال يحيل على مدلول بل يجب تفعيل ثلاث اطراف بدل طرفين الواحد تلو الاخر في كل نظام سيميولوجي تربطهما علاقة السببية، وهو مصطلح أو طرف أخر يوحدهما هو العلامة signe وهو المجموع بالطرفين الآخرين يطرح مثال : باقة الورد : الدال الورود والمدلول ما تحمله من معاني .

كذلك قطعة حجر الشطرنج نستطيع ملأه بالمعاني التي نريد ، فالمدلول يصبح فارغا أما العلامة تستطيع منحه معنى (مثلااستطيع منحه معنى علامة مثلا حكم بالموت) ويصبح علامة ان الدال والمدلول والعلامة اطراف تربطهم علاقة استلزامية وظيفية مثلما يرتبط الجزء بالكل وهذه الرابطة تكتسي اهمية رئيسية في دراسة الأسطورة كمخطط سيميولوجي.

وهذه المصطلحات الثلاثة قد تعطى لها معاني مختلفة مثلا:

سوسير : اشتغل على نظام سيميولوجي خاص باللغة الدال هو المفهوم concept المدلول ، المدلول هو الصورة السمعية image acostique والعلاقة بين المفهوم والصورة هو العلامة .

فرويد : علم النفس والأحلام / الحلم في حد ذاته وشموليته علامة

الفلسفة النقدية لسارتر : الدال هو الأزمة الأصلية للموضوع , المدلول هو الادب كخطاب والعلاقة بين الخطاب والازمة(الدال والمدلول) هي الدلالة والمعنى signification ، ثم ان السيميولوجيا هي حقل محدود وهي وحدة للأشكال وليس للمحتويات ولا تهتم الا بالخطاب ولا تقوم الا بعملية القراءة والتفكيك lecture et déchiffrements .

وبالتالي فالأسطورة هي مخطط ثلاثي الأبعاد : دال مدلول وعلامة وهي نظام مختلف يتشكل من سلسلة نظامين سيميولوجيين بحيث ان العلامة التي هي مجموع المفهوم والصورة في النظام الاول ستشكل دالا في النظام الثاني

ومواضيع الأسطورة مختلفة من لغة منطوقة، تصوير peinture،photographie ، وملصقات rites.،affiche .....)

يبين الجدول انه في الأسطورة نظامين سيميولوجيين:

- الأول نظام لساني linguistique système اي اللغة او اي نمط تمثيلي اخر (ويسميه اللغة الموضوع الذي من خلاله ستضع الأسطورة شكلا لها langue objet).
- الثاني نظام أسطوري métalangage،système de mythe والمستمد من اللغة الاستعارية (يعرفها البعض على انها اللغة الواصفة للغة أخرى)لأنه لغة ثانية نتحدث فيها عن النظام الأول.

ان المحلل السيميولوجي sémiologue لا يتساءل أبدا عن مكونات موضوع الخطاب language objet و لايعير اهتمام لتفاصيل المخطط اللساني ، بل يراه علامة كاملة (signe globale) ولهذا فعليه أن يحرر نفس المعالجة للصورة والكتابة ويعتبرهما علامتين ذات دلالة بحيث تشكلان الخطاب الموضوع language objetفي الأسطورة .

و يعطي بارت مثالا عن الأسطورة في النظام اللغوي : انا تلميذ في السنة الخامسة ثانوي، انا اسمي ليون إذ هناك غموض في الأول ، رغم ان هناك معنى أول بسيط : وكذلك لها معنى ثاني يشكل عرضا لغويا وصفيا ليدلني علي شيء آخر يتعلق بتلميذ السنة الخامسة و المثال الثاني يمثل علاقة الاندماج regle d`accort d'attribut وتبحث في دلالة أخرى كيف يسمى هذا التلميذ .

هنا يتشكل نظام سيميولوجي متضمن للغة :

دال (اسمي ليون) ،مدلول (مثال من القواعد) وهناك دلالة سببية corrélation signification بينهما مثالآخر صورة الجندي الأسود في مجلة match de Paris : فالرجل الأسود اللون دال على الانتماء والاندماج في

ويقترح بارت في مقاله هذا تحديد المعاني الأصلية لعناصر النظام الأسطوري (terminologie):

- **الدال** signifiantوقد يفسر انطلاقا من نقطتين –من وجهة نظر الكاتب طبعا– (مصطلح لغوي ويمثل معنى (في النظام الأول signifiant sens), و مصطلح مبدئي أسطوري signifiant forme(في النظام الثاني)
- **المدلول** signifie نحافظ على تسميته بالمفهوم (concept)
- **Corrélation** العلاقة السببية التي تربط بين المصطلحين الأوليين (دال ومدلول)و تمثل العلامة signe في المستوى اللغوي– لان الدال هو مجموعة علامات لغوية , لكن في المستوى الثاني الأسطوري تصبح دلالة signification هذا يبين الوظيفة الثنائية double fonction للأسطورة.
- **La forme et le concept: الشكل والمفهوم** بالنسبة للدال في الأسطورة فانه يمثل وضيفتين Le signifiant sens et significant forme: في الأسطورة وظيفة الدال كمعنى ووظيفته كشكل كما انه قد يكون فارغا من المعنى كما قد يكون غنيا من جهة أخرى:

فمعنى الأسطورة يمثل قيمة مستمدة من التاريخ (تحية الجندي)، ينبني على حقيقة موجودة ماضية، ذاكرة ،نظام من الأحداث ،أفكار وقرارات .وفي المقابل قد يكون المعنى شكلا خاليا من الدلالة يفقره التاريخ لا يبقى سوى الحروف وهنا تنتج لنا قراءة متناقضة بالانتقال من العلامات اللسانية نحو المعاني الأسطورية, فالشكل في اللسانيات يدل : على أن جملة ليون تعني أني حيوان أعيش في البلد س أما الشكل الأسطوري يجب ان يتعدى كل ذلك لانه سيتحدد لنا تاريخ و انتماء جغرافي، قيم وهذه الفقرة تسمى : دلالة signification لكن الاهم هو ان الشكل لا يمحي المعنى ،يفقره ،يتجاهله ، اذ تعتقد إن المعنى مات لكنه يفقد قيمته ويبقى على حياته التي ستغذيه الأسطورة . كما في مثال صورة الجندي الأسود فهو ليس رمزا للسلطة الفرنسية لكن لها حضور آخر قوي (صورة) معاشة،فالحضور قد يدل على الظهور لكنها قد تحيد عن الدلالة الأصلية نوعا ما وقد تتشابك الصورة مع مفهوم آخر هوا لامبريالية الفرنسية .

المفهوم هو سلسلة أسباب ونتائج مستهدفة وواعية بعكس الشكل forme الاعتباطي abstrait المجرد هو مليء بوضعية أو حدث ،وعن طريقه كل تاريخ قد يغرس في الأسطورة ويمكن شرح ذلك في مثال :

تحية الأسود كشكل المعنى قصير، مفتقر ،وكمفهوم فهو يحمل الامبريالية الفرنسية ويقدمها للعالم كله تاريخ فرنسا ورحلاتها واستعماراتها وما يستثمر في المفهوم يبعد عن الحقيقة : بالانتقال من المعنى إلى الشكل حتى يلقى المفهوم قابلية في تلقيه واستيعابه.

ومن خصائص المفهوم الاسطوري ، concept mytique:

- هو خصوصية تواجده، فالمثال النحوي موجه لتلاميذ قسم معين ، الامبريالية الفرنسية كذلك تلمس مجموعة معينة ،والمفهوم يجيب عن وظيفة ويعرف كذلك tendance تعدد للمعاني
- الدال ممكن ان يكون له عدة مدلولات ،كما هو الحال للدال اللساني أوالتحليل النفسي psychanalytique والحال نفسه بالنسبة للمفهوم الاسطوري ،فقد يحمل مجموعة غير محدودة من المدلولات،قد اعبر بالف جملة لاتينية تقدم لي علاقة الاندماج والف صورة دالة على الامبريالية الفرنسية .

وهذا دال على ان المفهوم فقير كميا مقاربة بالمدلول ولا يقدم الا ما يمثله بالانتقال من الشكل الى المفهوم عبر عملية افقار واغنياء متعاكسة للمفهوم بعلاقة من الافتقار الكيفي للشكل المطروح بالمعنى شبه الغائب والمتعلق بغنى المفهوم المفتوح على التاريخ.

ثم ان تعدد المفهوم الى اشكال مختلفة هو جد مهم عند دارس او محلل الاسطورة في تفكيكها وهذا يعني عدم وجود علاقة ثابتة او منظمة بين الدال والمدلول في اللغة ،في الأسطورة نجد العكس الدال يتواجد في عدة مدلولات (مثال:كتاب كله قد يكون دالا) لمفهوم واحد وقد يكون شكل ما دال لمفهوم كبير، وهذا الاختلاف المطروح بين الدال ومدلوله نجده كذلك في طرح فرويد عند ما طرح فكرة الحدث الغائب الذي قد يكون مدلولا للمعنى العام المنكشف.

المفهوم ليس ثابتا في الأسطورة لأنه يتعلق بالتاريخ الذي قد يمحيه لذا لابد على الدارس التحكم بالمفاهيم الأسطورية لان عليه عند فك شفرات الأسطورة ان يسمي مفاهيما جديدة ,وما في القاموس لا يكفي لوحده خاصة وانها تتضمن مفاهيما تاريخية تبنى على قواعد لبناء المعنى وليس اعتباطيا .

- **<u>الدلالة</u>** : هي تتكون مع اندماج العنصرين الاولين :الشكل والمفهوم مثل : العلامة عند سوسير

ويكمن الاختلاف في الاسطورة عن باقي الانظمة السيميولوجية هو ان كل من الشكل والمفهوم يحضران معا وهي لا تخفي شيئا او تحتاج للاولى لشرحها ،بل لها وظيفة déformer ،القولبة وتغيير الاشكال وتشكل بطريقتين :

1- حضور آني للشكل : présence littéral médiate de la forme لا حاجة للرجوع الى الطبيعة اللغوية لان المدلول هنا مسطر (مدلول في اللغة يكون نفسيا ،فرق)
2- وقتي مؤقت la présence spacial في حالة الأسطورة الشفهية ،هناك امتداد خطي ،وفي البصرية الامتداد يكونmulti dimissionnelle متعددا (وسط ،جانب،لباس او الزي / الاشكال لها علاقات مكان وتجاور وبالتالي حضور الدال (مفهوم) ،متعلق بالذاكرة mémoriel

الواجب ذكره دائما هو ان الاسطورة نظام ثنائي وامكانية تواجده بدايتها يتوقف على حضور المعنى وهناك خاصية الجوارية في الاستعارة الواسعة لان دلالة الأسطورة تتوقف على حضور مزدوج alternance بحيث يظهر المفهوم على انه يقدم مدلولا غامضا ، يدفع للتفكير خيالي اعتباطي وطبيعي .

الاسطورة هي قيمة ،ليس لها حقيقة لكي تتبعها، وهناك دائما تلازم بين المعنى والشكل وليس هناك تناقض او صراع ،لكن لا يتواجدان في نفس النقطة مثلما هو الحال : اذا كنت في سيارة auto وانظر من الزجاج الى المناظر الطبيعية ،اذا أردت ان ادرك حضور الزجاج من خلال عمق المنظر والنتيجة الزجاج سيكون حاضرا وخاليا والمنظر في نفس الوقت غير حقيقي ومملوء ، نفس الحال في المدلول الاسطوري ،الشكل خال لكنه حاضر والمعنى غائب لكنه مليء ،يخص القارئ المحلل mythologie هناك كذلك خطأ المدلول الذي سيعرف الدلالة في الأسطورة إذ تبقى متعلقة بمعرفة مسجلة .

الاسطورة هي امر يدفع للنقد ولفت الانتباه مستمد من مفهوم تاريخي بحيث انها تترجم ظاهرة غير متوقعة او ظاهرة وهي التي سوف ابحث عنها .

الدلالة تكون بوضع بساط حول الحدث وتشل الوعي لذا فالاسطورة هي مقولة مستورة او متخفية وكآخر عنصري في تفحص الدلالة وجود الحجة (علاقة بين الشكل والمحتوى في العلامة), في اللغة العلامة اعتباطية لا وجود للتبرير بحكم الاعتباطية بين الصورة السمعية والمفهوم رغم ان هذه الاعتباطية لها حدود كالعلاقة الآلية تنسب للكلمات المشابهة (المماثلة) (par exemple, on dit aimable, et non amable, par analogie avec aime)

الدلالة في الاسطورة لا تكون ابدا اعتباطية دائما مبررة تحتوي على قدر من المماثلة (في مثال: الامبريالية الفرنسية ، لابد من وجود هوية بين تحية الاسود وتحية الظابط الفرنسي والأسطورة تلعب على هذا التماثل في الشكل والمعنى (لا وجود لاسطورة دون شكل مبرر) وتشتغل الأسطورة على المشابهة في الشكل والمعنى ، واذا غاب التبرير في الاسطورة فلن يعيق ذلك من حركتها بل سيصبح تبريرا ثانيا لها بحيث ان هذا الغياب وضع اساسا ليجعلها قابلة للقراءة .هذا التبرير لا تستمده من الطبيعة لكن التاريخ هو من سيمنح للأشكال مماثلاتها ، كذلك فان المماثلة بين المفهوم والمعنى هي جزئية (تماثل أجزاء من الواقع فقط), عموما الاسطورة تفضل ان تعمل على صور فقيرة وغير كاملة اين يكون المعنى متجردا من اي دلالة : كاريكاتور رمز...والتبرير يختار من بين عدة اختيارات واحتمالات.

المقارنة هي التي تجعل الدلالة الأسطورية ذات قيمة , والأسطورة هي ليست اكثر ولا اقل من نظام كتابي idiogramme (العلامة التي تمثل معنى الكلمة وليست صوتها) . فهي عبارة عن idiographie كتابات محضة تستعمل الكلمات للتعبير اين نجد الاشكال مازالت مبررة بالمفهوم الذي تمثله ، والاسطورة تعرف اعتباطية في دلالتها.

<u>قراءة وتفكيك الاسطورة</u> ،

لابد ان نعود الى ازدواجية duplicité الدال بين مدلوله وشكله كيف لي أن أقف عند هذا أو ذلكهناك 3 انواع للقراءة :

- C yrique(فكرة مضادة) ،المدلول خال ساترك المفهوم يملا شكل الأسطورة بدون غموض ، نظام بسيط .الدلالة فيه تكون حرفية ، الاسود يحيي العلم مثال على الامبريالية الفرنسية, وهو رمز لها.
- : Démystifiante (فكرة كاشفة) المدلول مليء لذا فسأحدد معنى شكله بوضوح، نكشف سرها،بحيث إن محلل الأسطورة mythologue يفكك ويفهم تغيير الشكل : التحية هي رمز
- dynamique (حركية) الدال يبرز نوع من الفوضوية والدلالة تصبح غامضة , سأركز على ميكانيزم بناء الأسطورة وحركيتها وبالتالي أصبح قارئا لها تحية الأسود ليست بمثال وليست برمز ، بل هي حضور للامبريالية الفرنسية بحد ذاتها.

النوعين الاولين هما يعتمدان على قراءة تحليلية تقوم بهدم الاسطورة سواء بإبراز الوعي بها او بسترها اما النوع الثالث فانه يستهلك الاسطورة حسب نهايات بنائها بحيث ان المحلل يعيش الاسطورة كتاريخ قد يكون حقيقيا ام غير حقيقي

واذا اردنا ربط المخطط الأسطوري مع التاريخ العام وشرح كيف أنها تجيب على اهتمام مجتمع ما يجب الانتقال من السيميولوجيا الى الايديولوجيا وهذا كما في النوع الثالث قراءة الأسطورة نفسها بالكشف عن وظيفتها الأساسية مثل الرجل الذي يحيي العلم الفرنسي يجب ان يربالامبريالية ما هي الا اقتراح سياسي مباشر فالأسطورة لا تبرز الشيء ولا تخفيه هي فقط تقوم بتغيير شكله ما هي الا تصريح بالتصرف او مغاير للحقيقة فهي اذن مجرد تغيير وتطويع inflextion , هي تجعل المفهوم طبيعيا وهذا هو المبدا الاساسي للأسطورة اذ تقوم بتحويل التاريخ الى طبيعة لكن لا تفهم على انها حركة لكنها حجة (الامبريالية الفرنسية حجة) والاسطورة بتعبير اخر هي مقولة مبررة.

كل نظام سيميولوجي هو نظام قيمة و مستهلك الاسطورة ياخذ الدلالة كنظام للأحداث و تقرء كنظام مؤطر بالأحداث.

الاسطورة لغة متجولة:LE MYTHE COMME LANGAGE VOLÉ

الاسطورة الحقيقية هي تحويل المعنى لشكل او هي تجوال vol language او طيران للغة في حركة لغوية سريعة, المعنى لا يكون ابدا في الدرجة الصفر لهذا يمكن للمفهوم تغييره ، تطبيعه وجعله خاصا لا يعني درجة الصفر لان الاسطورة تعطيه مثلا دلالة لا منطقية او سريالية لكن في العمق لا يوجد الا الدرجة الصفر هي التي تستطيع مقاومة هذا التحول(الاسطورة)

الاسطورة تقترح معنى يومي ajourne مقترن بايام لهذا فمن خصائصها انها تنتج و تتضحم بسهولة (vol par colonization), الشعر الكلاسيكي كذلك فهو يحمل اسطورة بعكس الشعر الحديث.

ان نظام الاسطورة يمكن ان يعرف على انه ادب تقليدي لان الادب هو نظام اسطوري متخصص لاننا نجد ان هناك معنى يتمثل في الخطاب فالدال اذن هو شكل الخطاب او كتابته والمدلول هو مفهوم ذلك

الأدب والدلالة هي نوع الخطاب الأدبي (وقد اشار لذلك في كتابه الدرجة الصفر من الكتابة) وبذلك عرفت الكتابة بانها دال لأسطورة الادب (شكل مليء بالمعاني فاكتسب الأدب دلالة جديدة).

ان مضاد الاسطورة هو الاسطورة الاصطناعية mythe artificial ، والايديولوجيا حسب بار ت مستمدة من الفكر البرجوازي هي جمال غير مرغوب فيه وليست لها حقيقة.

الشكل في الادب هو غير واقعي irreel وعليه لا يصبح الا دلالة و ليس تعبيرا، فكلام الكاتب لا يمثل الواقع لكن يدل عليه ويطرح ذلك مشكلا ونميز بذلك طريقتين اما معالجة واقعية الكاتب كمتغير ايديولوجي مثلا (الكتابات المستوحاة من المحاور الماركسية) وإما كقيم سيميولوجية (أشياء و الفاعلين , الموسيقى ...)

البرجوازية كمجتمع غير معرف:

ان الأسطورة تستلف من التاريخ نقطتين هما

– الشكل وهذا يتعلق بالتبرير والمفهوم هوعن طريق الطبيعة التاريخية .

ويمكننا إذن إجراء دراسة دياكرونية للأسطورة منذ الماضي ا إلى اليوم، فيبدء الحديث عن التحولات في المجتمع الفرنسي على عدة مستويات اقتصاديا سياسيا و تقنيا منذ1789 وكيف ان عدة اصناف من البرجوازيين نجحوا في الوصول الى السلطة ,الا ان الوضع الداخلي بقي على حاله وسميت البرجوازية بالراسمالية المنفتحة اقتصاديا capitalism proffesse سياسيا اما ايديولوجيا فقد اختفت تماما لان تسميها انمحت وذلك بالانتقال من الانسان الاقتصادي الى الإنسان العقلي او ما سمي با المكانة الاجتماعية la classe sociale التي لا يجب ان تسمى راسمالية بلوريتارية

من الجانب السياسي فان اسم البرجوازية قد انتج فكرة الامة التي كانت بمثابة عنف ذلك الوقت وقدمت خدمة تمثلت في الغاء الارستقراطية وحاليا توسعت الامة الى الوطن nation , وتبقى بذلك تمثل جزءا ثوريا و ايديولوجيا حتى لا تفقد هذه التسمية فقد عممت على كل شيء المسرح الفن الانسان.....الخ. لكن هذه البرجوازية بقيت منبوذة في المجتمع لانها منبثقة من البرجوازية الأصل .

ويعطي الكاتب انطباعه عن فرنسا تسبح في الأيديولوجية الغامضة سواءا الصحافة ,السينما ,المسرح, الأدب, و البرجوازية هي التي تحدد العلاقات بين الانسان والعالم وهذه الأشكال العادية تصبح كوسيط ليس سياسيا مباشرا او إيديولوجيا مباشرا أو وباختصار فان اخلاقية البرجوازية تغطي فرنسا اذ تطبق وطنيا هي تعيش بقواعدها كقوانين لنظام طبيعي.

ان اسم البرجوازية ينخرط من الايديولوجيا نفسها وهي الحركة التي عبرها حولت حقيقة العالم الى صورة والتاريخ الى طبيعة وكل من يمثلها يكون عالميا.

ثم ان الطبقة البرجوازية تبني قوتها على التطور التقني العلمي وباختصار فان المجتمع البرجوازي الحديث يكون فيه الانتقال من الحقيقي الى الايديولوجيا والذي يعرف كالانقال من معاكس للوجود الى استعارة الوجود نفسه.

الاسطورة مقولة او خطاب غير مسيس LE MYTHE EST UNE PAROLE DÉPOLITISÉE

بما ان السيميولوجيا بينت ان الميتولوجيا وجدت من اجل خلق او صياغة التاريخ الى طبيعة (كما هو حال البرجوازية في المجتمع الاوروبي) فالأسطورة أفضل وسيلة لهذه العملية في كل مستويات الاتصال الإنساني

العالم يزود الأسطورة بالتاريخ الحقيقي الذي يصنعه الأشخاص لكنها تعمل على استرجاع هذه الصورة الطبيعية لهذا الواقع الحقيقي بتغييره والعمل على تفريغه من التاريخ واعادة تعبئته بالطبيعي وبذلك تفقد الأشياء معناها الإنساني بطريقة تدل على دلالة إنسانية مثلما فعلت البرجوازية

تحية الرجل الأسود فالمراد منها ليس هو إخراج او استبعاد الامبريالية الفرنسية انما حضورها بطريقة مستهدفة تاريخية انتجها مصطلح الاستعمار والعمل على الإيضاح دون الشرح بالانتقال من التاريخ إلى الطبيعة

الأسطورة اقتصاد

هي تمحي كل اعتقاد في العلاقات الانسانية وتمنحها البساطة والوضوح الفوري, تنظم عالما دون مفارقات لانها دون عمق عالم صمم في وضوح يخلق جوا السعادة والمرح و الاشياء تدل وحدها في الهواء.

الاسطورة لغة ثانية استعارية meta language

لا تتكلم عن الاشياء بل تغنيها وهي على مستويين:الاول قوية اين تكون الكمية السياسية فورية ذات انتشار مستقيم والثاني تكون فيه الكمية السياسية ماضية الاسطورة هي قيمة لأنها تعمل على تغيير المحيط السياسي والنظام العام.

الاسطورة من اليسار

هناك خطاب الإنسان المنتج و هناك الخطاب الاستعاري(المتكلم يحول الواقع ولا يحافظ على صورته) ينتج أشياء , الأسطورة في اليسار هي ان لا تكون هناك ثورة (ستالين تحدث عن التاريخ التعسفي)

وهي ليست مهمة مثل الأسطورة البرجوازية الأشياء التي تعرفها قليلة وما هي الا مفاهيم سياسية motion politique وهي لا تصل ابدا الى الحقل المهم في العلاقات الإنسانية والمساحة الأكبر من الايديولوجيا غير دالة وهي لا تأتي من إستراتيجية بل من تخطيط tactique وليست ضرورة بل تطبيق وممارسة . وبهذا المفهوم فالأسطورة فقيرة تخلو من الابداع وهي جافة وقد تتقلص الى الدعوة ، وبالتلي تبقى دائما اسطورة اصطناعية معاد تشكيلها بدون عنوان

الاسطورة في اليمين

هي منظمة ومصممة مغذية متكلمة ومبدعة وهي معبرة عن شعورها الكلي: العدل الفكر الجماليات الفنون الادب والمهرجان

لا قيود ديكتارية لها متعددة الأشكال تستفرد باللغة الاستعارية métalangage خطابها يجمع الكل الأشاري gestuel المسرحي فالأسطورة هي اللغة بوجه عام .

كل أسطورة تفهم من تاريخها و جغرافيتها (يمكن ان نتحدث عما يسميه اللسانيون isoglosses du mythe

المكان الجغرافي الاجتماعي للأسطورة يبقى تحديده صعبا لأننا في حاجة الى عمل تحليلي للجرائد

هناك بعض الاشكال التي نستطيع الإلمام بها بمختلف الأشكال الأسطورية للدوال وهي غير مرئية لكنها ذات مفهوم من اجل التاقلم مع تمثيل تاريخي للعالم (البلاغة القديمة تمثيل من نوع أرسطي)

والأسطورة البرجوازية رسمت تصوراتها العامة التي عرفت بالحلم بالعالم البرجوازي الحديث عن طريق البلاغة وهذه أهم الأشكال الرئيسية:

1) التلقيح : **la vaccination**

2) جعل التاريخ خاص **privation d`histoire** الاسطورة تأخذ الشيء الذي تتحدث عنه من التاريخ يتبخر وهو شيء من الاليف المثالي مثلما تفعل البرجوازية بعدم المسؤولية اتجاه الانسان

3) التعريف بالطبيعة والماهية **l`identification**فالبرجوازي الصغير غير قادر على ان يتخيل الآخر واذا تواجد الآخر في نظرته سيتجاهله او يعمل على تحويله مثله الليبرالية هي نوع من الاقتصاد الفكري للأمكنة المعروفة لان البرجوازية petite bourgeoisie ليست مستقلة تتبع الفاشية بل وتستعملها

4) **tautologies** وهي ان تعمل على صياغة نفس الفكرة بطريقة مختلفة – تحدث عن فلسفة سارتر ونظرية المشاعر emotion الخوف الحزن – هناك قتيلان ضحيتان نقتل المعقول والمنطقي لانه يقاومنا ونقتل اللغة لانها تخوفنا اثناء التعبير اذا هي الموت والتجاهل او هي الكوميديا والتمثيل وهي تؤسس لعالم ساكن وميت, وهذا يقود للحديث عن حجة السلطة مثلا سلطة الولدين .

5)**Ninisme**اقتراح متضادين وموازنة احدهما بالأخر وذلك عملا على تجاهلهما معا وهذا يشبه عمل الميزان اذ نعمل على ابراز المشابهات والتمثيلات اثناء الوزن وهنا يتحدد مستوى المساواة وشيئا فشيئا نتغلب على الظهر الذي يعيقنا على الاختيار وربما هذا– كما اشار– يتعلق بالتنجيم او السحر لانه يقوم على الافتراض والتوقع .

ويؤكد على ذلك باستعماله للاسطورة البرجوازية وكيف انها لا تمثل الا شكلا جديدا لليبرالية.

6) **qualification de qualite** تكميم النوع وهذا باختبار كل الاشكال السابق ذكرها اقتصادا للذكاء, ونترك الاسطورة تتحدث لانها تفهم الواقع على أحسن حال ، والمسرح البرجوازي خير مثال على هذه المفارقة فهو يعطي ويقدم عرضا مبسطا ويعطي ما في الساحة بمعرفة مباشرة ، ومن جهة اخرى الفن الدرامي البرجوازي يضم كمية من التوابع او النتائج يبكي الكوميدي من اجل قطع نقدية.

7) **le constat** الاسطورة تأخذ شكل المثل فالبرجوازية تستثمر اهتماماتها العالمية ترفض الشرح والتفسير الا باستعمال لغة الاشياء او اللغة الاستعارية المثل الشعبي, المعنى الحقيقي يعني حسب ذلك ان الحقيقة تتوقف على النظام الاعتباطي للمتحدث

-يذكر بارت كذلك ان هناك اشكال اخرى لم يذكرها لكن ما سبق ذكره يتشابه في ما اسماه ب essence et balance الاسطورة نهايتها او القصد منها تحريك العالم immobiliser le monde

ضرورة وحدود الأسطورة:NÉCESSITÉ ET LIMITES DE LA MYTHOLOGIE

الاسطورة او علم الاساطير تساهم في صنع العالم لو نأخذ الانسان في المجتمع البرجوازي يغوص في كل لحظة في طبيعة خاطئة لان ما تكشفه هو فقط عقد سياسي يؤسس لفكرة مسؤولة عن الخطاب اللغوي والحرية

ان محلل الأسطورة او قارئها mythologies يعمل اولا على الكشف عنها بحيث يكون كلامه الوصفي (لاستعاري) أساسه الأخلاق لكي يستطيع بث حياة الحركة الثورية (المقصود تقلده مهمة الكشف عن الاسطورة في المجتمع سيعادل المحارب في المعركة) والمجابهة وبهذا سيتقلد وظيفته الأساسية.

ويكمن عمله كمحلل بان يقصى كل مستهلكي هذه الاسطورة مما يجعله محل تجاهل ونبذ من طرف الجماعة التي تتبناها ، وبهذا فهو محكوم عليه بان يعيش حياة نظرية و اجتماعيا اذ في نظره ان تكون عضوا اجتماعيا هي أن تكون صادقا حقيقيا, وكذلك هو يعمل على إقصاء التاريخ ويشك في حقائق الغد والعكس صحيح بالنسبة لأكاذيب اليوم وهذا حتى يحقق فرضيا غيرمتخيلة او متوقعة

هناك شيء اخر قد يهدد المحلل يتمثل في الأيديولوجيالأنه من الممكن تجاهل الحقيقة بسبب الواقع الذي يجب المحافظة عليه في حين انه يجب ان يهتم بالأيديولوجيا وليس بالأفكار نفسها.

قراءة تحليل و تقييم:

الأسطورة هي كلمة ارتبط وجودها منذ القدم بالقضايا التي تحدد علاقة الإنسان بعالمه ووعيه بالوجود داخله و قد ارتبطت بالسحر, ثم بالدين (مازالت بعض الأساطير الدينية قائمة عند بعض الشعوب) وقد نعتبرها عموما احد أنواع الإنتاج الأدبي الشعبي التي تهدف لتفسير احد جوانب الحياة.وهذا ما لم نلتمسه في هذا المقال إذ نجد ان مفهوم الأسطورة ارتبط بالفكر السياسي أو ما أطلق عليه بتفاهة التفكير البرجوازي وعلى حد تعبير الاستاذ الباحث سعد ساعد ان بارت يرى الاسطورة هي سيميولوجيا نقدية للإيديولوجيا وسعى الكاتب جاهدا إلى تقليص محتواها في الوعاء الإيديولوجي وإطار السلطة السياسية ، وكما نلمس توافقه مع الفلسفة الوجودية (ارنست كاسير) التي تقربقصدية الاسطورة او الفبركة : "ان الأساطير السياسية لم تعد تعمل بفعل لا شعوري أو من إنتاج الخيال بل هي مخططة وتمثل عصارة الفعل الشيطاني من صنع العقل والمنطق"

وفي هذه نقطة أخرى يتفق رولان بارث مع الانثروبولوجي كلود ليفي ستراوس الذي يعتبر الأسطورة تتوسط بين الثقافة و الطبيعة لأنها تدعم التطبيع على كل المستويات الثقافية والتاريخية والعقائد الذي توظفه عادة الإيديولوجيا.

وربما ما نعيشه اليوم خير دليل فقد ولجت الأسطورة عالم الاستهلاك لدينا وأصبحت هي الموجهة له، هي من تصنع طقوسنا في الحياة وتعمل على تسويقها إعلاميا وثقافيا(اللباس الغربي، الأكل السريع الانترنت)مما اكسبها شرعية في ان تحدد حاجاتنا ورغباتنا وحتى أذواقنا التي أفرغت من معانيها فلم نعد نتمتع بالإرادة وحرية الاختيار وأبعدتنا عن الحقيقة واستبدلت بمفاهيم جديدة كالعالمية والعولمة التي تمثل برأيي الأسطورة الكبرى المنطوية تحت رايتها أساطير صغرى عديدة تعمل كلها في تكتل على افقار ثقافات الشعوب وأنظمة العالم من مبادئها ، لتستبدل بالنظام الكوني الاحادي الذي وضعته القوة العظمى أمريكا وتمنحه الحياة. حتى ان بودليار* المفكر الحداثي يقول في هذا الشأن أن أمريكا هي صحراء من اللامعنى وقد يفهم من ذلك ان أمريكا هي ذات نظام واسع لكنه مفرغ من المعنى .

وكأحد الأمثلة على الأساطير السائدة في ثقافة الاستهلاك التي نعيشها نأخذ ظاهرة الموضة la mode حيث برمجت العقول للاقتناع بالعالم المزيف, والمطالبة الدائمة والملحة للتغيير والتمرد على الأصل فقط لأجل التميز، فبتنا لا نكترث لماضينا ولا نفكر في مستقبلنا ولا نبحث عن جواهر الأشياء بل نقتنع بالمظاهر .خاصة ازدادت الحدة مع الثورة **المرئية وثقافة الصورة** التي أصبحت تحدد السلوك(والملبس قصة الشعر اللوك والامثلة عديدة) وتعمل على قتل الوعي ومحي الضمير حتى تحقق هدفها دون أدنى مقاومة ولا ننسى ان كل ذلك باسم الحرية واقتصاد السوق (فقدت الحرية باسم الحرية*)

وقد صدق روجيس دوبري *حينما قال إن "طوفان الصور الذي يحاصر الفرد المعاصر مفارقة فبدل إنها تشخذ الروية فإنها تسبب العماء" وذلك إننا لا نختار الأشياء بمحض إرادتنا بل تفرض علينا من خلال ما يقدم لنا في طبق العصرنة عبر الإعلام ليصبح المجتمع الاستهلاكي أسطورة مسيرا بمنطق السلطة التي تحكم كل المنتجات المادية أو المعنوية والرمزية*

وقد سجلنا بعض الملاحظات:

- ✓ انه حاول ربط الأسطورة بتاريخ الإنسانية الذي اعتبره القاعدة في حياة أو موت اللغة الأسطورية
- ✓ لقد وجدنا أنفسنا غير بعيدين عن الكتابات الألسنية و اللغوية لرولان بارث خاصة وانه اقرن العلامة اللغوية بالبصرية وحتى السيميائية بالأسطورية. وعن اهتمامه بالأدب والسياسة التي تعد مفتاح كتاباته.
- ✓ انه هنا يولي اهتماما بالعلامة البصرية على العلامة اللغوية ودليله تواجد الكتابات التصويرية التي وجدت قبل الهروف الهجائية
- ✓ كذلك انه حينما يتحدث عن البلاغة والمعنى التضميني فهو لا يخرج عن مشروعه السيميولوجي الأول بلاغة الصورة لأنه يعتبر الأسطورة نظام سيميائي ثاني تابع لنظام سيميولوجي أول(لفظة,صورة)

- ✓ لاحظنا كذلك انه يحاول في كل مرة الاستشهاد باقوال المفكرين و الفلاسفة واهم ما قيل عن الموضوع مما اكسب اراءه قوة وموضوعية حيث يلتمس القارئ الكفاءة وإلمامه بالموضوع في عدة حقول تتراوح بين اللغة وعلم النفس التحليلي و اللسانيات , الانثروبولوجيا...
- ✓ كما انه اعتمد على اليات اقناعية للفت انتباه القارئ كان يسرد افكاره على طريقة أسئلة ليتركه ينتظر الإجابة
- ✓ انه جد متأثر بالفلسفة الوجودية وفلسفة الاشكال الرمزية (الاشارة الى مجتمع سارتر وكاسير)
- ✓ انه يحاول في كل مرة التاكيد على ما قاله في كتابات اخرى بالاحالة اليها لمزيد من التوضيح(الدرجة الصفر من الكتابة)
- ✓ انه يميز بين بعض المفاهيم المتقاربة في السيمياء:الصور البلاغية والدلالات الضمنية هي جزء من الاساطير التي تحوي داخلها النظام الايديولوجي ومن حيث الشكل هي تعمل كشيفرة سيميائية* تستخدم الصورة البيانية والدلالة الضمنية
- ✓ جعله الاسطورة لغة يعود لتوجهه اللغوي اللساني وهي تأكيد على ايلائه أهمية للغة وفكرة لسانيات اعم من السيميولوجيا التي ناقض بها دي سوسير , كما انه حاول تفنيد اعتباطية سوسير في علاقة الدال والمدلول
- ✓ وبالنسبة لاعتباره الاسطورة هي من انتاج الايديولوجيا ورغم ان الكثير من المفكرين اتفق معه الا ا نهتاك من ارجع ذلك الى عدم الاستقرا الذس عاشه في حياته مم جعله ينتقد الفكر البرجوازي, خاصة ما تعلق بقضايا الهوية و كيفية تجليها في صراع مع الايديولوجيا(مثال القواعد انا اسمي ليون, تحية الرجل الاسود) .
- ✓ اما بالنسبة لطريقته في طرح الافكار فرغم انه حاول التمثيل قدر المستطاع (مثال لغوي, صورة إشهار)الا ان بعض الافكار بقت غامضة نوعا ما وذات بعد فلسفي محض.
- ✓ وهذا التمثيل تعلق وفي نفس الإطار نلاحظ انه كان معترضا على فكرة الاستعمار الفرنسي في شمال افريقيا.
- ✓ وبالنسبة للدلالات الضمنية والتقريرية التي تعمل وفقها الاسطورة والصورة عموما فان اللساني يامسلاف قد كان السباق له في ذلك 1940 حين عبر عنه بالتعبير والمحتوى* الذي قصد من ورائه التطفل عن المعنى المعجمي بفعل مل يكتسبه من الممارسة الاجتماعية مثلا اسم فاطمة للمناداة لكنه تحول في عهد الاستعمار الى دلالة على المرأة الخادمة بمعنى الاحتقار.

<u>خلاصة وحوصلة:</u>

ان ما قدمه بارث في قراءاته للأسطورة ومستويات الدلالة فيها من حيث كشف العلاقة بين سلوكات الانسانية و معامل ارتباطها بالأيديولوجيا يتقاطع مع ما نادى به اصحاب اتجاه سيميولوجيا الثقافة الذين اهمية للغة كنموذج للتواصل الفظي وغير اللفظي. وهذا دلالة ان السيميولوجيا كل متكامل من التواصل

الى الاشهار والصورة ومن الدلالة الى الثقافة فكلها تصب في قالب فهم علامات ورموز واساطير المجتمع

لقد اشار رولان بارث الى موضوع هام تمثل في أسطورة الفكر البرجوازي خاصة في الصحافة والاشهار التي غزت عصره بشكل من المماثلة والمحاكاة مع ما هو طبيعي هو مازالت قائمة لكن ما زلنا نعايش امتداداته على الالفية الثالثة باسم مستعار وهو العولمة التي تعتبر نفسها البرجوازية التي عاشها العلم الغربي لكن بقناع مغاير ونطاق واسع .

الهوامش:

- **BARTHES ROLAND** .message photographique, in Obvie et l'obus 1957
- **BARTHES ROLAND** Mythologies, Paris, Seuil, 1957
- **BARTHES ROLAND**.Rhétorique de l'image", in Obvie et l'obus, Seuil, 1982.